
من صحيح قصص الأنبياء
4
هُود
نبي الله
عليه السلام
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ سورة يوسف ١١١

من صحيح قصص الأنبياء

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ سورة يوسف 111

4

هُود

نبي الله عليه السلام

إعداد: قندوزي كمال

مراجعة علمية: مشري عمر - مراجعة لغوية: ساعد العلوي

الطبعة الثالثة

المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر والتوزيع
1أ طريق زواوة الشراقة الجزائر

الإيداع القانوني: 2003-291

ردم ك: 9961-821-95-5

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة الشعراء، الآيات 123..126]

نِعَمُ اللهِ عَلَى قَوْمِ عَادٍ كَثِيرَةٌ

لَمَّا نَجَّى اللهُ سُبْحَانَهُ عَبْدَهُ نُوحًا عليه السلام هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الطُّوفَانِ الَّذِي عَمَّ الأَرْضَ، تَوَجَّهَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ، فَتَكَاثَرُوا وَتَزَايَدَ عَدَدُهُمْ فِي رُبُوعِ الأَرْضِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَهُمُ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَسْبَمَا تَرَكَهُمْ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ عليه السلام.

وَلَكِنَّ النَّاسَ أَخَذُوا يُغَيِّرُونَ فِي الدِّينِ الْخَالِصِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَبَدَ الأَصْنَامَ بَعْدَ نُوحٍ عليه السلام قَوْمُ عَادٍ، وَيُدْعَى هَؤُلَاءِ النَّاسُ قَوْمَ عَادٍ الأُولَى، وَيُسَمُّونَ قَوْمَ إِرَمَ أَيْضًا، قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر، 6،7] وَقَدْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بِالْيَمَنِ بَيْنَ عُمَانَ وَحَضْرَمَوْتَ، بِمَكَانٍ يُسَمَّى الأَحْقَافَ، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سُورَةٌ كَامِلَةٌ تُدْعَى (سُورَةَ الأَحْقَافِ)، يَذْكُرُ فِيهَا سُبْحَانَهُ أَخْبَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَالأَحْقَافُ مَعْنَاهَا: جِبَالُ الرِّمَالِ الْمُسْتَدِيرَةِ، حَيْثُ كَانَتْ

هَذِهِ الْمَدِينَةُ مُكَوَّنَةً مِنْ حِقْفٍ أَمَامَهُ حِقْفٌ، فَكَوَّنَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مِنَ الْجِبَالِ الرَّمْلِيَّةِ مَكَانًا يُسَمَّى الأَحْقَافَ.

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنْ أَجْمَلِ الأَرَاضِي وَأَخْصَبِهَا، لَهُمْ فِيهَا جَنَّاتٌ مِنَ الزُّرُوعِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ، وَالْحَشَائِشِ الْخَضْرَاءِ، وَالأَزْهَارِ الْفَوَّاحَةِ الْجَمِيلَةِ عَلَى اخْتِلافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا، وَكَانَتْ تَؤُوبُ إِلَيْهَا الطُّيُورُ بِمُخْتَلَفِ الأَنْوَاعِ، فَتَزْدَادُ هَذِهِ الْحَدَائِقُ جَمَالاً إِلَى جَمَالِهَا، وَكَانُوا إِذَا حَانَ وَقْتُ جَنْيِ الثِّمَارِ، جَنَوْهَا بِكُلِّ سُهُولَةٍ، وَقَدْ مَنَحَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَادِيًا يَمُرُّ بِالْمَدِينَةِ، وَالَّذِي كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي الرَّيِّ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَيْنٌ أَخَذَهَا مِنَ الْوَادِي الْكَبِيرِ، فَكَانُوا فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ وَأَهْنَئِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء:30]. وَمِمَّا زَادَ فِي رَفَاهِيَةِ النَّاسِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَعْطَاهُمْ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الأَنْعَامِ مِنْ بَقَرٍ وَأَغْنَامٍ وَمَعْزٍ وَإِبِلٍ، وَكَانَتْ لَهُمْ أَعْدَادٌ هَائِلَةٌ مِنْهَا، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَشْرَبُوا اللَّبَنَ فَلَهُمْ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنْ أَلْبَانِ الْبَقَرِ وَالْمَعْزِ وَالإِبِلِ، وَإِذَا أَرَادُوا اللُّحُومَ فَهِيَ مُتَوَفِّرَةٌ عِنْدَهُمْ مِنْ لَحْمِ الْغَنَمِ أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الإِبِلِ.

وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، فَقَدْ زَادَهُمُ اللهُ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً، فَكَانُوا ضِخَامًا أَقْوِيَاءَ الأَجْسَامِ، لا يُوجَدُ بَعْدَ نُوحٍ عليه السلام مَنْ كَانَ فِي الْقُوَّةِ وَالطُّولِ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ قَوْمُ عَادٍ، وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ كَبِيرَةً جِدًّا، وَأَحَبُّ الْمَسَاكِنِ إِلَيْهِمُ الْخِيَامُ الَّتِي كَانُوا يَنْصِبُونَهَا كَبِيرَةً ضَخْمَةً يَفْتَخِرُونَ بِهَا، وَكَانَتِ الأَعْمِدَةُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي حَمْلِ خِيَامِهِمْ كَبِيرَةٌ جِدًّا لأَنَّ أَجْسَامَهُمْ كَبِيرَةٌ، قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[الفجر:7]، وَكَانُوا يَنْصِبُونَ خِيَامَهُمْ هَذِهِ فِي السُّهُولِ، أَمَّا الْجِبَالُ الَّتِي أَمَامَهُمْ فَكَانُوا يَبْنُونَ فِيهَا الْقُصُورَ الْكَبِيرَةَ، وَلَمْ تَكُنْ تُبْنَى لِلسَّكَنِ وَإِنَّمَا يَبْنُونَهَا لِلَّعِبِ وَاللَّهْوِ فَقَطْ، وَلَهُمْ مَصَانِعُ كَثِيرَةٌ يُنْتِجُونَ فِيهَا كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْحَضَارَةِ وَالْعُمْرَانِ، فَقَدْ كَانُوا يُتْقِنُونَ صِنَاعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، مِنْ صِنَاعَةِ الْخَشَبِ وَزَخْرَفَةِ الأَحْجَارِ وَإِعْدَادِهَا لِلْبِنَاءِ، إِلَى صِنَاعَةِ الْحَدِيدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّنَاعَاتِ، فَقَدْ سَهَّلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ وَيَسَّرَهَا لَهُمْ.

رَزَقَهُمُ اللهُ الْمَصَانِعَ وَالْقُصُورَ وَالْبُنْيَانَ وَالْمِيَاهَ وَالْخِيَامَ وَالْخَيْرَاتِ وَالأَمْوَالَ وَقُوَّةَ الأَجْسَامِ، وَكُلُّهَا نِعَمٌ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ لِيَشْكُرُوهُ وَيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

هودٌ عليه السلام يُحَاوِلُ إِنْقَاذَ قَوْمِهِ مِمَّا هُمْ فِيهِ

وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَقَدْ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَاتَّخَذُوا أَصْنَامًا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، إِذْ كَانَتْ لَهُمْ ثَلاَثَةُ أَصْنَامٍ هِيَ صَدًا، وَصَمُودٌ، وَهِرًا، كَانُوا يُقَرِّبُونَ لَهَا الْقَرَابِينَ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِهَا، وَيُعَظِّمُونَهَا أَشَدَّ التَّعْظِيمِ، وَيُشْعِلُونَ أَعْوَادَ الْبَخُورِ عِنْدَهَا، وَيُعَطِّرُونَهَا بِأَصْنَافِ الْعُطُورِ، وَمَعَ شِرْكِهِمْ هَذَا كَانُوا يَظْلِمُونَ النَّاسَ فَهُمْ أَكْثَرُ عِبَادِ اللهِ قُوَّةً، وَأَعْظَمُهُمْ أَجْسَامًا، وَأَطْوَلُهُمْ قَامَةً، وَأَغْلَظُهُمْ أَكْبَادًا، وَأَقْسَاهُمْ قُلُوبًا وَأَشْرَسُهُمْ طِبَاعًا، فَلاَ إِيمَانَ يَمْنَعُهُمْ، وَلاَ حَيَاءَ يَصُدُّهُمْ، وَلاَ رَحْمَةَ تُوقِفُهُمْ عَنِ الظُّلْمِ، فَهُمْ يَظْلِمُونَ الأَضْعَفَ مِنْهُمْ، قَالَ اللهُ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء،130]، يَفْتِكُونَ وَيَبْطِشُونَ كَمَا يَبْطِشُ الْجَبَابِرَةُ.

لَمَّا وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْوَثَنِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرْحَمَهُمْ وَيُنْقِذَهُمْ مِنْ هَذَا الشَّقَاءِ الَّذِي يَعِيشُونَهُ، لأَنَّ الشَّقَاءَ كُلَّ الشَّقَاءِ فِي تَرْكِ عِبَادَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَشُكْرِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِنْهُمْ هُوَ هُودٌ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف،65] فَهُوَ يَعْرِفُهُمْ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ، أَرَادَ هُودٌ عليه السلام أَنْ يُذَكِّرَهُمْ

بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لَمَّا أَعْطَاهُمْ تِلْكَ النِّعَمَ الَّتِي مَا أَعْطَاهَا لأَحَدٍ غَيْرِهِمْ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا بَدَأَهُمْ بِهِ أَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود،50].

تَذْكِيرُ هُودٍ عليه السلام بِنِعَمِ اللهِ وَمَوْقِفُ قَوْمِهِ

لَكِنَّ قَوْمَهُ أَعْرَضُوا عَنْ كَلاَمِهِ، إِذْ هُمْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أَنْ سَمِعُوا رَجُلاً يَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ هُودٌ عليه السلام، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا قَالَهُ هُوَ الْحَقُّ؛ فَالإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ هُوَ الإِلَهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ النِّعَمَ، أَمَّا هَذِهِ الأَصْنَامُ فَهِيَ لاَ تَسْمَعُ لِنِدَائِهِمْ وَلاَ تَسْتَجِيبُ لِدُعَائِهِمْ، وَلاَ تُكَلِّمُهُمْ فَيَسْمَعُونَهَا، فَقَالَ لَهُمْ هُودٌ عليه السلام: "كَيْفَ تَجْعَلُونَهَا بِمَنْزِلَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ وَكَيْفَ تُعَظِّمُونَهَا أَكْثَرَ مِمَّا تُعَظِّمُونَ بِهِ اللهَ سُبْحَانَهُ؟". لَمَّا كَلَّمَهُمْ بِهَذَا الْكَلاَمِ أَرَادُوا أَنْ يُعْجِزُوهُ بِكَلاَمٍ آخَرَ لِيَصْرِفُوهُ عَنْ مُخَاطَبَتِهِمْ فَقَالُوا لَهُ: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود،53]، وَمَعَ أَنَّ كَلاَمَ

هُود كَلاَمُ الْحَقِّ إِلاَّ أَنَّهُمْ نَأَوْا عَنْهُ وَابْتَعَدُوا، بَلْ فَعَلُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ هُودًا عليه السلام أَصَابَتْهُ آلِهَتُهُمْ بِسُوءٍ لأَنَّهُ كَانَ يُعَيِّرُهَا فَقَالُوا لَهُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود، 54].

كَانَ هُودٌ عليه السلام يَخَافُ عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِه أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ، إِذَا بِهِمْ بِكَذِبِهِمْ يَقُولُونَ: إِنَّكَ أُصِبْتَ مِنْ قِبَلِ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ، وَلَمَّا رَآهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ، أَحَبَّ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَأَنَّهُ لاَ يَخَافُهَا، وَكَيْفَ يَخَافُ هُودٌ عليه السلام هَذِهِ الأَصْنَامَ الَّتِي لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَلاَ تَسْمَعُ وَلاَ تَتَكَلَّمُ، وَلاَ تَرَى وَلاَ تَتَحَرَّكُ، فَهِيَ جَامِدَةٌ فِي مَكَانِهَا.

فَخَاطَبَهُمْ قَائِلاً: إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ آلِهَتَكُمْ تَضُرُّنِي فَادْعُوهَا كَيْ تُسْرِعَ فِي مَضَرَّتِي، وَتَعَالَوْا أَنْتُمْ مَعَهَا لِتَضُرُّونِي، إِنَّكُمْ أَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَضُرُّونِي بِشَيْءٍ، لأَنَّ الضَّارَّ وَالنَّافِعَ وَحْدَهُ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود، 54-55]، وَهَذَا تَحَدٍّ مِنْ هُودٍ عليه السلام لِقَوْمِهِ، وَتَبَرُّؤٌ مِنْ آلِهَتِهِمْ، وَتَنَقُّصٌ لَهَا، وَبَيَانٌ مِنْهُ أَنَّهَا لاَ تَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ تَضُرُّ، وَأَنَّهَا وَأَنْتُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ، لِذَلِكَ فَإِنَّ هُودًا عليه السلام لاَ يُبَالِي بِهِمْ، لأَنَّهُ

يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ سَيَمْنَعُهُ مِنْهُمْ، وَهَذَا الدَّلِيلُ كَافٍ عَلَى صِدْقِهِ لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ؛ فَهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ وَأَشِدَّاءُ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بِسُوءٍ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يَقُولُ، وَأَنَّهُ مُحِقٌّ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لاَ يَتْرُكُهُ بَلْ يَحْمِيهِ مِنْ كَيْدِ الأَعْدَاءِ؛ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾ [هود، 56] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق، 3].

ثُمَّ إِنَّ هُودًا عليه السلام أَرَادَ أَنْ يُذَكِّرَ قَوْمَهُ بِالنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَيَتُوبُونَ، فَذَكَّرَهُمْ بِاسْتِخْلاَفِ اللهِ لَهُمْ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ الَّذِينَ أُغْرِقُوا بِالطُّوفَانِ لِعِصْيَانِهِمْ لِرَبِّهِمْ وَنَبِيِّهِمْ، وَمِمَّا ذَكَّرَهُمْ بِهِ النِّعَمُ الَّتِي مَا أَعْطَاهَا لأَحَدٍ فَقَدْ جَعَلَهُمْ ضِخَامَ الأَجْسَامِ، قَالَ لَهُمْ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف، 69] أَيِ اذْكُرُوا النِّعَمَ الَّتِي أَعْطَاكُمْ، فَإِنْ ذَكَرْتُمُوهَا وَعَلِمْتُمْ مَنْ أَعْطَاكُمْ إِيَّاهَا حَقِيقَةً، فَسَتَكُونُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ الْفَائِزِينَ، كَمَا ذَكَّرَهُمْ بِنِعْمَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء، 128] أَيْ هَلْ تَبْنُونَ بِكُلِّ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ جِبَالٍ وَغَيْرِهَا بِنَاءً عَظِيمًا هَائِلاً كَالْقُصُورِ؟

وَتَعْبَثُونَ بِبِنَائِهَا، حَيْثُ لاَ حَاجَةَ لَكُمْ بِهَا، إِذْ أَنْتُمْ تَسْكُنُونَ الْخِيَامَ ذَاتَ الأَعْمِدَةِ الْكَبِيرَةِ، فَلِمَ تُضَيِّعُونَ أَوْقَاتَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ فِي فِعْلِ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُكُمْ، وَأَنْتُمْ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهَا، فَلَوْ أَنَّكُمْ عَبَدْتُمْ رَبَّكُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ، ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ بِنِعْمَةٍ أُخْرَى قَائِلاً: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء، 129] وَهَلْ تَظُنُّونَ أَنَّ صِنَاعَتَكُمْ هَذِهِ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ تَجْعَلُكُمْ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَمُوتُونَ، ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ بِنِعَمٍ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء، 132..135].

اتهام وتحدي عاد لنبيهم

لَمَّا طَالَ بِهُودٍ عليه السلام الأَمْرُ، وَبَعْدَ تَذْكِيرِ قَوْمِهِ بِالنِّعَمِ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ إِيَّاهُمْ، خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ؛ فَهُمْ لَمْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، وَمَا عَبَدُوهُ بَلْ طَغَوْا وَتَجَبَّرُوا وَبَطَشُوا، فَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ وَهُمُ الأَغْنِيَاءُ وَذَوُو الْوَجَاهَةِ وَالرِّيَاسَةِ قَوْلاً قَبِيحًا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف، 66] فَهُودٌ عليه السلام ذُو الْعَقْلِ الرَّاجِحِ الْمُسْتَنِيرِ، وَالْفَهْمِ الثَّاقِبِ، وَالْفِكْرِ النَّيِّرِ أَصْبَحَ عِنْدَهُمْ سَفِيهًا، فَقَالَ لَهُمْ هُودٌ عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي

رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف، 67-68] فَهُوَ خَائِفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ.

وَهَذَا الْكَلاَمُ الَّذِي قَالَهُ هُودٌ عليه السلام لأَشْرَافِ الْقَوْمِ وَأَغْنِيَائِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ لَيْسَ طَمَعًا فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ فِي الأَجْرِ، لأَنَّ مَا يَنْصَحُهُمْ بِهِ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ فَقَالَ: ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [هود، 51] أَيْ أَمَا لَكُمْ عَقْلٌ تَفْقَهُونَ بِهِ؟ إِنَّ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، وَإِنَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ هُوَ الْبَاطِلُ؛ إِذْ لَهُمْ عُقُولٌ وَلَكِنْ لاَ يَعْقِلُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ وَلَكِنْ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ وَلَكِنْ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا، فَهُمْ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لأَنَّ الأَنْعَامَ خَلَقَ اللهُ لَهَا الآذَانَ وَالأَبْصَارَ وَلَكِنْ لاَ عُقُولَ لَهَا، أَمَّا قَوْمُ هُودٍ فَلَهُمْ كُلُّ هَذِهِ الْحَوَاسِّ مَعَ الْعَقْلِ وَلَكِنَّهَا لَمْ تُفِدْهُمْ شَيْئًا، فَهِيَ مَطْمُوسَةٌ، وَلِذَلِكَ قَالُوا لَهُ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء، 136..138].

كَلاَمُ هُودٍ عليه السلام وَنَصَائِحُهُ وَوَعْظُهُ أَصْبَحَتْ لاَ تُجْدِي مَعَ هَؤُلاَءِ، لأَنَّهُمْ اغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ، وَتَكَبَّرُوا وَقَالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾

[فصلت،15]، وظنوا أن أجسامهم الضخمة تمنعهم من العذاب، ولأن سكان المدن والقرى التي كانت حول مدينتهم لم تكن لهم قوة كقوتهم، فهي خاضعة لهم، وأهلها يخافون منهم لأنهم عمالقة أشداء، ظنوا أن قوتهم لا يستطيع أحد أن يقهرها.

هنالك خاطبوا هودًا عليه السلام بكلام فيه تحدٍّ وقالوا له: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[الأعراف،70]، يقولون مؤكدين متحدين له: نحن لا نسمع لك ولا نتبعك، ولقد قلت إنك تخاف علينا أن يصيبنا عذاب عظيم من عند ربك، فأتنا بهذا العذاب إن كنت من الصادقين.

نزول عذاب الله على عاد

لما قالوا هذا الكلام قال لهم نبيهم: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[الأعراف،71] فهو يقول لهم قد استحققتم بهذه المقالة العذاب والغضب من الله، أتقيسون عبادة الله وحده لا شريك له بعبادة أصنام أنتم صنعتموها وسميتموها آلهة من

أنفسكم أنتم وآباؤكم، ما أنزل الله على ما تقولونه دليلًا ولا برهانًا، وإذا أبيتم قبول الحق وتماديتم في الباطل، فانتظروا الآن عذاب الله الواقع بكم، وبأسه الذي لا يُرد، ونكاله الذي لا يُصد.

توجه هود عليه السلام إلى الله سبحانه ودعا ربه قائلًا: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[المؤمنون،39] هنالك استجاب الله دعاءه وأوحى إليه قائلًا له: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[المؤمنون،40]، فأمسك الله سبحانه عليهم المطر، وبعد أن كانت أراضيهم خصبة أصبحت قاحلة لا نبت فيها ولا زرع، وأصبحت تلك المروج التي كانوا فيها جرداء، والطيور التي كانت تأوي إلى جنانها هربت من القحط الشديد الذي أصاب قوم عاد الأولى، فهذا جزاء من كفر بأنعم الله، فبدلًا من أن يشكروا المنعم الحقيقي الذي هو الله، إذا بهم يجحدون هذه النعم، ويعبدون أصنامًا لا تنفع ولا تضر، ويشكرون هذه الأصنام على شيء لم تفعله، فضاق بهم العيش، وأصبحوا في شقاء ونكد؛ فالجنان المورقة أصبحت جرداء، وبعد هذا القحط والجدب أخذ قوم هود عليه السلام ينتظرون أن ينزل عليهم المطر، استبطؤوه وهم في

هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الْقُنُوطِ وَالْيَأْسِ، وَإِذَا بِغَمَامَةٍ سَوْدَاءَ قَاتِمَةٍ تُطِلُّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعِيدٍ، فَلَمَّا رَأَوْهَا اسْتَبْشَرُوا بِهَا، وَفَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْقَحْطَ الَّذِي يُعَانُونَ مِنْهُ سَيَزُولُ عَنْهُمْ، وَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ السَّحَابَ قَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف،24] وَجَاءَهُمْ ذَلِكَ السَّحَابُ مِنْ جِهَةِ الأَوْدِيَةِ الَّتِي جَدَبَتْ، وَنَسُوا أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْ هُودٍ عليه السلام أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، فَقَالَ لَهُمُ اللهُ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف،24] ، وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ تِلْكَ الْغَمَامَةُ إِذَا هِيَ عَاصِفَةٌ هَوْجَاءُ قَوِيَّةٌ، تَحْمِلُ مَعَهَا غُيُومًا سَوْدَاءَ دَاكِنَةً، وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ لَمَعَانًا، يُضِيءُ كُلَّ شَيْءٍ، وَالرَّعْدُ يُسْمَعُ لَهُ دَوِيٌّ قَوِيٌّ يُفْزِعُ الْقُلُوبَ؛ عِنْدَ ذَاكَ أَدْرَكُوا أَنَّ مَا حَسِبُوهُ سَحَابًا يَحْمِلُ الْمَطَرَ إِنَّمَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي اسْتَعْجَلُوهُ، هِيَ: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف،24-25]؛ دَمَّرَتِ الْقُصُورَ وَالْخِيَامَ الَّتِي يَسْكُنُونَهَا، وَأَمْوَالَهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ ذَهَبَ هَبَاءً مَنْثُورًا، فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر،19]، وَلَمْ تُبْقِ هَذِهِ الرِّيحُ إِلاَّ الْمَسَاكِنَ الَّتِي كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِهَا وَلاَ يَسْكُنُونَهَا ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف،25].

وَمَكَثَتْ فِيهِمْ مُدَّةً ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة،7] أَيْ أَنَّهَا أَيَّامُ شُؤْمٍ قَاطِعَةٌ الْخَيْرَ عَنْهُمْ، فَأَيْنَ يَهْرُبُونَ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ الأَلِيمِ، لاَ مَفَرَّ وَلاَ مَلْجَأَ لَهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ. فَهُمُ الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِقُوَّةِ أَجْسَامِهِمْ، وَاللهُ جَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ، وَأَصْبَحَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يُصْرَعُ أَرْضًا ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة،7]، إِذْ كَانَتِ الرِّيحُ تَأْخُذُ أَحَدَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ تَدُقُّ رَأْسَهُ بِالأَرْضِ فَتَنْدَقُّ، وَيَسْقُطُ جُثَّةً بِلاَ رَأْسٍ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة،8] فَلَمْ يُبْقِ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا مِنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ الْعُتَاةِ الْجَبَابِرَةِ.

وَأَمَّا هُودٌ عليه السلام وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ فَإِنَّ اللهَ حَفِظَهُمْ وَنَجَّاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ أَقْوَامِهِمْ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُصَابُوا بِسُوءٍ، وَهَذَا مِنْ قُدْرَةِ اللهِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَالطَّائِعُونَ لأَوَامِرِهِ الْمُتَّبِعُونَ لِرَسُولِهِ نَجَوْا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الأعراف،72]. وَأَمَّا الآخَرُونَ فَإِنَّ اللهَ ذَكَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود،59-60] فَهُمْ قَدْ أُصِيبُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِذَلِكَ الْعَذَابِ الأَلِيمِ، وَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَتَرْكِ عِبَادَتِهِ، وَعِصْيَانِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُودٍ عليه السلام، وَهَكَذَا كَانَ حَالُ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ الْجُفَاةِ الْكَافِرِينَ الْعُتَاةِ الْمُتَمَرِّدِينَ.

أسئلة فهم واستيعاب القصة:

1- لقوم هود اسمان ما هما؟ اذكر الآية الواردة في ذلك؟ وما معنى الأحقاف؟ وما مفردها؟

2- رزق قوم هود نعما كثيرة. اذكر ثلاثة منها؟

3- ما هي أحب المساكن إليهم؟ وأين كانوا ينصبونها؟ ولأي غرض كانوا يبنون القصور في الجبال؟

4- ما هي أسماء الآلهة التي كانوا يعبدونها؟ وما هي أهم صفاتهم بعد الشرك بالله؟

5- ما هو المبدأ الأساسي الأول الذي دعاهم نبيهم إليه؟ وكيف كان موقفهم من دعوته؟ وبماذا اتهموه؟

6- ما هي النعم التي ذكَّرهم بها هود؟ اذكر آية تدل على ذلك.

7- دعا هود ربه أن ينصره على قومه المعاندين الكافرين، فماذا قال؟

8- استجاب الله دعاء نبيه فنصره. صف نوع العقاب المسلط عليهم بإيجاز.

9- سنة الله في عاقبة ونهاية الكافرين والمؤمنين واحدة، ما هي عاقبة كل منهما في هذه القصة؟.

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسْعِدُنَا أَنْ نَضَعَ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَزِيزِي الْقَارِئَ الصَّغِيرَ، هَذِهِ السِّلْسِلَةَ الْمَوْضُوعَةَ بِلُغَةٍ وَأُسْلُوبٍ يَسْمَحَانِ لَكَ بِإِدْرَاكِ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ عَنْ سِيَرِ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي نَتَوَخَّى مِنْهَا أَنْ تُحَقِّقَ أَهْدَافَهَا التَّرْبَوِيَّةَ، وَيَسْتَخْلِصَ أَبْنَاؤُنَا وَبَنَاتُنَا الْعِبَرَ بِمَا لَحِقَ الأَنْبِيَاءَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَانَاتُهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ وَإِذَايَاتُهُمْ لَهُمْ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وَاجَهُوا أَقْوَامَهُمْ بِمَنْهَجٍ قَوِيمٍ، هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ وَالْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يُبَلِّغُوا دِينَ اللهِ إِلَى النَّاسِ، فَيَتَّخِذَهُمُ الْقَارِئُ نِبْرَاسًا فِي حَيَاتِهِ، وَيَقْتَدِيَ بِهِمْ، وَقَدْ بَذَلْنَا جُهْدًا فِي تَنْقِيحِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ الْجَدِيدَةِ، وَزِدْنَا فِيهَا أَشْيَاءَ تُسَاعِدُ عَلَى الاسْتِيعَابِ وَالْفَهْمِ.

صدر من نفس السلسلة

1- آدم
2- إدريس
3- نوح
4- هود
5- صالح
6- إبراهيم
7- لوط
8- إسماعيل
9- إسحاق
10- شعيب
11- يوسف
12- أيوب
13- يونس
14- موسى مع فرعون
15- موسى مع قارون
16- موسى مع الخضر
17- إلياس مع اليسع
18- ذو الكفل
19- داود
20- سليمان
21- زكريا
22- يحيى
23- عيسى
24- محمد

عليهم الصلاة والسلام

المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر والتوزيع
1 - أ طريق الزواوا الشراقة الجزائر

الإيداع القانوني: 291-2003
ردمك: 9961-821-95-5
réf.067